

الشيخ إبراهيم أنياس الكولخي وعلاقته بالطريقة التيجانية في بلاد السنغال خلال القرن 20 م
 Shaykh Ibrāhīm Nyass Al-Kolkhi and his relationship with the Tarīquah
 Tijāniyya in Senegal during the 20th C AD

الدكتور: عبد الكريم حماتيت¹، الدكتور: يوسف سليمان²

1 جامعة الجبالي بونعامة - خميس مليانة (الجزائر)، a.hamattit@univ-dbkm.dz

2 جامعة الجبالي بونعامة - خميس مليانة (الجزائر)، y.slimani@univ-dbkm.dz

تاريخ النشر: 2024/05/16

تاريخ القبول: 2024/05/03

تاريخ الاستلام: 2023/11/29

الملخص: اعتبرت الطريقة الصوفية التيجانية واحدة من أبرز الطرق التي امتدت تعاليمها إلى مختلف مناطق العالم الإسلامي، خصوصا في القارة الإفريقية التي وجدت فيها الفضاء الذي احتضنها، وبالتحديد في بلاد السنغال، حيث أرسى مبادئها الشيخ إبراهيم نياس الكولخي الذي يعتبر خليفة الشيخ أحمد التيجاني في هذه البلاد خلال القرن العشرين. برز دوره في تجديد معالم الدين الإسلامي، وإصلاح المجتمع، كما واجه السياسة الاستعمارية الفرنسية التي كانت تهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين في البلاد، ولم يقتصر دوره على إصلاح المجتمع فحسب؛ بل كان وراء تكوين عديد النخب التي واجهت مخططات الاستعمار الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: التيجانية، إبراهيم أنياس، السنغال، الطرق الصوفية، الإصلاح.

Abstract

The Tarīquah Tijāniyya Sufi was considered as one of the most prominent orders whose teachings extended to various regions of the Islamic world, especially the African continent, where it found the environment that embraced it, specifically in the country of Senegal, where its principles were established by Shaykh Ibrāhīm Nyass Al-Kolkhi, who is considered as the successor of Shaykh Ahmed Al-Tijāni in this country during the twentieth century. He was renowned for renewing the features of the Islamic religion and reforming society. He also faced the French colonial policy that aimed to eliminate Islam and Muslims in the country. His role was not limited only to reforming society, but also to bringing up many elites that faced French colonial plans.

Keywords: Tijāniyya; Ibrāhīm Nyass; Sufi orders; Senegal; Reform

المؤلف المرسل: د. حماتيت عبد الكريم، الإيميل: a.hamattit@univ-dbkm.dz

1- مقدمة:

ظهرت في بلاد السنغال خلال القرن العشرين عدّة شخصيات دينية إصلاحية هيأت المجتمع وحضرته لقيادة النضال ضد الاستعمار الفرنسي، كما حاربت الوثنية وأرجعت الإسلام إلى منهجه الصحيح يأتي في مقدمتهم الشيخ أحمد بمبا مباكي على نهج الطريقة الصوفية الموريدية، والشيخ إبراهيم نياس الكولخي على نهج الطريقة الصوفية التيجانية، واعتبر هذا الأخير مجدد عصره في بلاد السنغال، وذلك لما قدّمه من خدمة للإسلام في البلاد رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها المنطقة، ووجد الشيخ إبراهيم في مبادئ التيجانية القوة والعزيمة الكافيتين في مواصلة دعوته الإصلاحية، حتى أضحى زعيما دينيا في البلاد، وأحد علمائها؛ بل ذاع صيته في العالم الإسلامي بأسره، فمن هو الشيخ إبراهيم أنياس، وما هي آثاره الدينية والدعوية في بلاد السنغال؟.

2- التعريف بشخصية إبراهيم أنياس:

هو الشيخ إبراهيم نياس الكولخي، نسبة إلى بلدة كولخ، ولد يوم الخميس من منتصف شهر رجب عام 1320هـ الموافق لـ 17 أكتوبر عام 1902م (الشيخ، 2001، صفحة 10)، في قرية طيب نياسين بمحافظة "سين سالوم" بالسنغال (الثاني، 2010، صفحة 4)، وهو الابن الثاني (التيجاني، 2009، صفحة 418)، لشيخ الصوفية الحاج عبد الله نياس ابن محمد الأمين ابن صنب ابن الرضا (سيسن، 1993، صفحة 14)، أما والدته فهي اخت جانخي عائشة المتوفاة عام 1356هـ / 1937م (جاه، 2017، صفحة 374)، تنتهي سلسلة نسبه إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع (اللطيف، 2009، صفحة المقدمة)، وهم عرب، وفي هذا المقام يقول أخيه الحاج محمد في أسرته "نحن عرب سودتنا الأمهات" وقد كتب عنهم عدة أشعار في نسبهم منها:

أبناء انياس قد دلت شمائلهم *** بأن عنصرهم ينتمي إلى العرب

وقيل:

خيال سار أم حلّ طيبة كولخ *** شملت أريج الهاشمي فأرخوا (الصغير، 2004، صفحة 8)

وقيل

قوم لدى قرية أنتيكان أصلحهم *** من ذروة العرب من قاص ودان (القشاط، 1997، صفحة 09)

وكان للشيخ إبراهيم نياس الكثير من الألقاب، أشهرها الغوث، وهو اللقب الذي تداولته الصوفية عبر مسيرتهم، ومنح هذا اللقب لأكثر من شيخ وعالم، وهي رتبة ومكانة ينالها الولي فريد عصره الذي يعتبر الممد الرئيسي لجميع الأولياء، أو ما يسمى بالفرد الجامع، أي أنه من جمع الدين ظله الشريعة وباطن الحقيقة، وله

العناية الربانية التي منشؤها البركة في غياث الخلق، عن طريق الهداية التي مقصدها التقوى في امتثال الأوامر واجتتاب النواهي، وقال فيه الكنوي:

إن كان في الكون المجاز يكشفهم * فمريد ذا الغوث ذا راقي (اللطيف، 2009، صفحة المقدمة)**

وتميز الشيخ حسب ما وصِف، أنه كان محبوبا كريما، عفيف اللسان لا ينطق إلا بالحق، متمسكا بكتاب الله وسنته، خطيبا فصيحاً ذا مكانة عالية (اللطيف، 2009، صفحة المقدمة)، بلغ الغاية في التضرع والخضوع وتقوى الله واسناد أمورها إليه، وهو ما شهد له به الخاص والعام (مباكي، 2009، صفحة 29).

2.1- النشأة العلمية للشيخ إبراهيم نياس:

نشأ الشيخ إبراهيم في حجر والده وقرأ عليه القرآن حتى حفظه حفظاً جيداً برواية ورش، وقد ظهرت منه النجابة في صغره، ثم بدأ في تحصيل العلوم الرسمية المنطوق منها والمفهوم حتى ألم بها وبلغ المراد، وتبحر، وتفنن في جميع فنونها، وقد تلقى الشيخ تعليمه على يد والده الذي أخذ منه علوم اللغة والفصاحة والدين حتى صار ذا شأن كبير بين عائلته (سيسن، 1993، صفحة 2، 3)، وقبل بلوغه سن العاشرة نبغ في علوم الشريعة واللغة من فقه وتصوف، وأصول للقواعد، حتى أضحى يهابه البعض من شدة فصاحته ونبوغه في الأدب والنحو الصرف وغيرها.

ومات والده وهو في سن العشرين من عمره، فوجد في أخوه الأكبر كل المساندة والدعم لمواصلته إمامه بأمور الدين، لكن يبقى والده هو من علمه أصول الدين كلها، وحتى والده أخذ علومه عن والده (الفتح، د، ت، صفحة 02)، وسخر الشيخ إبراهيم علومه لكلها لخدمة الدين الإسلامي وخدمة سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد قال في هذا المقام:

ثقافة إبراهيم والعلم كله * مديح الإمام الهاشمي وفضله (سيسن، 1993، صفحة 07، 08)**

في سن الواحد والعشرين خاض غمار التأليف وتنوعت مؤلفاته وكان أول ما بدأ فيه كتاب "الجامع المانع" ثم "روح الأدب" (مباكي، 2009، صفحة 29، 30)، ولما بلغ الثلاثين من عمره ذاع صيته، مما جعل طلبة العلم يتوافدون عليه (سيسن، 1993، صفحة 29)، حيث نبغ في التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وفنونها، والتصوف، فكان مرجعاً في ذلك كله، تصدر لإفادة الخلق، وأقبل عليه الناس من أقطار شتى عرباً وعجماً ينهلون من علومه، وجاء العلماء قبل العوام يثنون الركب عنده، ويستقون درر العلم ويتشوقون لعلوم الرجال وتربية النفوس، وتركيتها، فكان لهم بحراً لا ساحل له، ومنهلاً عذباً لا يمل ومركز فهم تتصاغر دونها الفحول (النحوي، 2021، صفحة 03).

2.2- وفاته:

انتقل الشيخ إبراهيم نياس إلى رحمة ربه يوم الأحد 17 جمادي الثانية 1395 هـ الموافق لـ 27 جويلية 1975م بلندن بعد انتهاء دوره بإرشاد العباد وتربيتهم تربية إسلامية، وقد كتبت وقدمت صحف العالم الإسلامي تعازيها إلى العالم الإسلامي بوفاته وفقدانه رحمه الله منها جريدة الشعب الموريتانية الرسمية، وجريدة آخر ساعة المصرية حيث علقت قائلة: "إمام إفريقيا كان صديقا للعرب وفلسطين"، ودفن الشيخ إبراهيم بعد وصول جثمانه من لندن وراء مسجده كما أوصى بذلك رحمه الله (إينافي، د، ت، صفحة 33).

3.2- دعوته:

اشتغل الشيخ إبراهيم نياس بإرشاد الخلق وتعليمهم وتربيتهم وأصبحت قريته التي أسسها (مدينة) قرب كولخ منارة علم وتربية، لكن دعوة الشيخ لم تقف هنا؛ بل جاب إفريقيا وكل الأقطار الإسلامية، وكثيرا من البلدان الأخرى ينشر دين الله ويدعوا للإسلام بالكلمة الطيبة، يبث علمه بين الناس وينظر العلماء للإفادة والاستفادة، زار مختلف المراكز العلمية والإسلامية في بلاد موريتانيا والمغرب وتونس ومصر والحجاز، وباكستان والهند والصين وغيرها من المدن والبلدان.

وركز الشيخ إبراهيم كثيرا على فئة الشباب بهدف تصحيح دينهم من كل شائبة غرسها الاستعمار فيهم، باعتبارهم رجاء الأمة، لذا كثف إرشادهم ونصحهم وتوعيتهم بمختلف السبل التي تفتن إليها، من خلال نشاطه الجماعي الهادف إلى محاربة الجهل والأمية والخرافات والبدع عند الذكور والإناث، ففي الوقت الذي تكلف هو بالشباب، عمدت ابنته أم الخير إلى تعليم المرأة وتوعيتها كذلك من خلال الجمعية "ناصرات الدين" التي أنشأتها بجمعية والدها في النيجر، ولعل حرص الشيخ الشديد على تعليم وإرشاد تلاميذه جسده المنشور الذي كتبه وأرسله إلى كافة المقدمين المنتسبين للطريقة حيث قال فيه "أما بعد فإني راضٍ عن جماعة الأكابر من المقدمين المنتسبين إلينا غاية الرضى أوصيكم وصية محب مشفق ناصح لله في الله وهي أن تقوموا جميعا على ساق الجد في إرشاد الإخوان ومناصحتهم في الدين والطريقة دائما أن تبدأوا بأنفسكم، وهو أن لا تأمروا بشيء إلا بعد أن تسبقوهم إليه، ولا ترجوهم عن شيء إلا بعد أن تتزجروا عنه، ولا تتكاسلوا فيضل بكم جمع كبير ...". (الصغير، 2004، صفحة 59).

ومن خلال مواقفه الجهادية السابقة توضح صرامته في محاربة التنصير والوثنية معاً، فقد حاربهما بشتى الطرق، منها الرد على كبير أساقفة دكار المطران "لفيفر" الذي كتب منشوراً يسيء فيه للإسلام: "إن إفريقيا مازالت تعيش في الفقر والتخلف مادامت تتمسك بدين الإسلام... إن المسيحية هي دين الخلاص" (الصغير، 2004،

صفحة 222)، فجاء رد الشيخ في مؤلفاته نثراً أو شعراً، منتقداً البهتان العظيم الذي تمارسه الإدارة الفرنسية وأساقفتها على الإسلام، الذي عرفه السنغال قروناً قبل دخولهم.

وقد جاء في شعره على سبيل تقديم النموذج:

فالسنگال يأوي تحت ظل محمد *** ويعبد رباً جَل شأنه موحداً

فتمن ظنّ شيئاً غير هذا فظّنه *** سقيم عليل باطل لن يؤيداً

رويدكم أهل الكنيسة لن تروا *** مدى الدهر أن قد تركنا محمداً (الصغير،

2004، صفحة 222، 224)

انتشرت دعوة الشيخ بعد تصريحاته انتشاراً واسعاً، الأمر الذي دفع به للمثول بين يدي حاكم الإدارة الفرنسية بعد الشكوى التي قُدمت ضده من طرف مسؤولي الكنيسة الكاثوليكية في السنغال، ليمتثل مرة أخرى أمام الحاكم بسبب منع أتباعه من الدراسة في مدارس الإرساليات التابعة للكنيسة، لكن الذي لم يكن في الحسبان هو إقبال العديد من المسيحيين على اعتناق الإسلام على يد الشيخ إبراهيم نياس، بالرغم من تعرض الشيخ للعديد من العراقيل في سبيل نجاح دعوته، منها دخوله إلى السجن هو وزوجته، واغتيال العديد من أتباعه الذين رفضوا المغريات المادية التي عُرِضت عليهم في سبيل التخلي عن الشيخ وأفكاره (الصغير، 2004، صفحة 222، 224).

وانخرط الشيخ إبراهيم في العديد من الهيئات العلمية والدينية الرسمية كان أبرزها:

- نائباً للرئيس ثم رئيساً للمؤتمر الإسلامي في كراتشي
- عضواً مؤسساً في رابطة العالم الإسلامي.
- رئيساً مؤسساً لمنظمة الاتحاد الإفريقي لدعاة الإسلام.
- عضواً مؤسساً في جمعية الجامعات الإسلامية بالرباط.
- عضواً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر.
- عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بمصر.
- عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر وغيرها من الهيئات الدعوية الأخرى (النحوي، 2021، صفحة 04).

4.2 - مؤلفات الشيخ إبراهيم نياس:

- ألف الشيخ إبراهيم عدّة مخطوطات ورسائل تنوعت بين مؤلفات في اللّغة والنحو، وأخرى في التصوف، وأخرى في تفسير علوم الدين تزيد عن خمس وسبعين مؤلفاً نذكر منها:
- كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس، يعتبر هذا العمل أول أعمال الشيخ إبراهيم الموسعة كُتبه عام 1931 بيّن فيه معرفته الواسعة بالتصوف خاصة التيجانية عالج من خلاله حقيقة التصوف الإسلامي.
 - تنبيه الأذكياء في كون الشيخ أحمد التجاني خاتم الأولياء، وهو كذلك من الكتب التي يمدح فيها التيجانية وشيخها أحمد التجاني.
 - البيان والتبيين عن التيجانية والتيجانيين.
 - تحقيق المعاني في سنة الورد التجاني
 - السر الأكبر والنور الأبهر (الصغير، 2004، صفحة 27، 28)
 - رفع الملام عن قبض ورفع اقتداء بسيد الأنام.
 - تبصرة الأنام في أنّ العلم هو الإمام.
 - نجوى الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى
 - مسرة المجامع في مسائل الجامع.
 - إفريقيا للإفريقيين، وهي عبارة عن كتيب صغير وهي في الأصل رسالة كتبها إبراهيم أنياس عام 1959 للرد على كبير أساقفة دكار المدعو لفيفر الذي طعن في الإسلام (أنياس، 1959، صفحة 13)
 - تحفة أهل الحاضرة بما ينفع الحاج سيما في الطائفة.
 - الجواب الشافي عن خلق الشعر.
 - إفادة المريد في الجواب عن أسئلة السيد محمد بن محمد العيد.
 - تحفة الأطفال في حقائق الأطفال.
 - كشف الغمة في رفع مراء علماء الأمة في توحيد الأمة (أنياس، 1959، صفحة 11، 12)
- إلى جانب العديد من المؤلفات الأخرى مختلف المجالات.
- وللشيخ إبراهيم نياس عدّة أشعار أيضاً نذكر منها:

- تيسير الوصول إلى حضرة الرسول.
 - إكسیر السعادات في مدح سيد السادات.
 - سلوة الشجون في مدح النبي المأمون.
 - العروة الوثقى في الاستغاثة بسيد الوری.
 - شفاء الأسقام في مدح سيد الأنام.
 - مناسك أهل الوداد في مدح سيد الأنام.
- إلى جانب عدة أشعار أخرى أغبها تمدح سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم
(سيسن، 1993، صفحة 46).

3- رواد التيجانية في السنغال قبل الشيخ إبراهيم أنياس:

3. 1- الحاج عمر تال: يعتبر الحاج عمر من أبرز وأول رواد التيجانية في غرب إفريقيا خلال القرن التاسع عشر، حيث بنى واحدة من أكبر الدول الإسلامية تحت مبادئ التيجانية في بلاد السنغال وغمبيا وغرب مالي، حارب خلالها الوثنية والاستعمار معا لتحقيق أهدافه وإعادة الإسلام إلى منهجه القويم سماها دولة التكرور¹.

ولد الحاج عمر بن سعيد الملقب بالفوتي في قرية حلوار بالقرب من بودور (Podor) على الحدود السنغالية الموريتانية في عام 1795، وكان الحاج عمر هو الابن الرابع للشيخ سعيد الذي ينتمي إلى التوردوب الذي قاوموا الوثنية في هذه المنطقة، وبعد ذلك لعبت هذه الجماعات دورا في مقاومة التوسع الأوروبي بعد أن اعتنقت الإسلام وقامت بنشره في المنطقة، وصار أتباع هذه الجماعة من أكثر الناس حماسا لنشر الدين الإسلامي.

درس الحاج عمر اللغة العربية، وعلوم الدين تحت إشراف والده، فحفظ القرآن الكريم، ودرس صحيح مسلم وصحيح البخاري، وعندما بلغ سن الخامسة عشرة من عمره ترك حلوار لكي يتلقى العلم وعلوم الدين تحت إشراف العلماء المحليين في فوتاتورو، وعلى مشايخ الطرق الصوفية وخصوصا الطريقة التيجانية (الرزاق، 1989، صفحة 65).

في عام 1826 قام الحاج عمر برحلة ثقافية ودينية طويلة بدأها بالذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج مع أخيه علي، وفي إحدى رحلاته إلى البلاد المقدسة التقى بالشيخ عبد الكريم النقيب أحد علماء التيجانية من فوتاجالون حيث درس على يديه مبادئ هذه الطريقة، وذهب الحاج معه إلى مدينة حمد الله العاصمة الجديدة لدولة

ماسينا، وفي هذه المدينة توطدت علاقات الحاج عمر مع سكانها الذين عهدوا إليه بنشر مبادئ الدين الإسلامي لأبناء المدينة ولأبناء الأسرة الحاكمة (شقرن، 2007، صفحة 51).

وانتقل الحاج عمر من ماسينا إلى دولة الخلافة الإسلامية في سوكونو حيث قضى سبعة أشهر غادر بعدها المنطقة إلى فزان، والسودان المصري في ذلك الوقت، وأخيرا وصل إلى مكة المكرمة عام 1828، حيث قابل هناك الشيخ محمد الغالي أحد رفاق الشيخ أحمد التيجاني، وخليفته في الحجاز، وفي الحجاز اكتسب الحاج عمر شعبية كبيرة جعلته في صراع مع العلماء هناك، الأمر الذي جعله يعجل بالعودة من الحجاز (سيلا، 1406هـ، صفحة 77، 78).

وأثناء عودته اتجه إلى بلاد الهوسا حيث استقبله خليفة سوكونو الشيخ محمد بلو، وكان له دور في التوفيق بين سوكونو ومملكة البرنو اللتين نشبتا بينهما الخلافات، وهناك زوجه محمد بلو إحدى بناته التي تدعى فاطمة، وعلى أثرها عاد الحاج عمر تال مسرعا إلى بلاد الفوتاجالون ليؤسس دولة إسلامية في غرب القارة الإفريقية أخذت اسم دولة التكرور، وأخذت مبادئ الطريقة التيجانية كمنهج لقيام الدولة (الرزاق، 1989، صفحة 65، 66).

وبذلك نجح الحاج عمر في نشر دعوته ومحاربة الوثنية في كل من فوتاجالون، والسنغال، كما بنى المراكز الدينية والعسكرية في بودوودمبورا، ووسّع حدود دولة دولته حتى بلاد المسينا وإلى الشمال حتى حدود نهر السنغال وفي الجنوب حتى هضاب الفوتاجالون و الفوتاتورو.

وبذلك يعتبر الحاج عمر مجدد الدين الإسلامي على النهج التيجاني في العصر الحديث بغرب إفريقيا تاركًا وراءه رصيّدًا فكريًا كبيرًا تنوع بين المؤلفات الدينية والسياسية، ولم يتوقف نشاطه في منطقته فقط؛ بل حاول نشر الإسلام وتعاليم الطريقة التيجانية حتى خارج منطقته باتخاذها لسياسة المقدمين الإصلاحيين التي تعتمد على تعيين تلامذته لنشر الإسلام في مناطق بعيدة، على غرار آلفا مولر في غينيا بيساو، عثمان ديوب في السالوم بالمنطقة الشمالية من التكرور، وفودي سيلا في غرب غامبيا (الجمال، 1995، صفحة 156).

ومن مؤلفات الحاج عمر تال نذكر:

- أجوبة مسائل وفتاوى متنوعة.
- رسالة في ذكر كرامات حزب السيفي
- رسالة في سوق الحبيب
- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم

- كتاب في الوعظ والإرشاد، إلى جانب عدّة مؤلفات أخرى ذات قيمة علمية كبيرة لا يسع المقام لذكرها كلها (باري، 2000، صفحة 225).

2.3 - ماباجاخويا (1809 - 1867)

يعدّ مابا أحد الزعماء المرابطين الذين حملوا لواء حركة الجهاد الديني، وعملوا على نشر الاسلام بمنطقة السنغال وما جاورها، والأمر الذي زاد في شهرته وعلوّ مقامه بين الخلق هو إعلان الحاج عمر الفوتي عام 1850م، بأنّ مابا هو نائبه في منطقة سنغيبيا، وهو من سيحمل مشعل التيجانية في المنطقة من بعده فزاد ذلك من عدد أتباعه لدرجة أثارت خوف الفرنسيين، خاصّة بعد توسع نشاطه الى عدّة مناطق، وعمله على تحريض السكان للثورة ضد الفرنسيين (الجمال، 1995، صفحة 159، 160)، وظلت عملياته العسكرية ضدّ الوثنيين تثير الرعب في المنطقة، وتُقلق الفرنسيين داخل السنغال مما أجبرهم على توقيع معاهدة معه في 16 أبريل 1864م، كان الهدف منها منعه من إثارة الوطنيين ضدّ الفرنسيين وإبعاد أي تهديد عن مستعمرتهم بالسنغال (سيلا، 1406هـ، صفحة 80).

وُلد ماباجاخويا سنة 1809 م، وسمي "حامابا" تخليداً لاسم أخيه الصغير حسب عاداتهم، كما عرف باسم "ماباجاخو" نسبة الى لقب أبيه وأمه، وعرف مابا بالذكاء الحاد والذاكرة القوية، تعلم على يد والده القرآن، والكتابة في سن الخامسة وعندما لاحظ والده نجابته وسرعته في التّحصيل العلمي عن بقية أقرانه، قام بإرساله إلى كايرو عند الشيخ مرامبي الذي تكفل بتعليمه، فأقام في مدرسة لونكور، وتمكن من حفظ القرآن في سنّ الثالثة عشر، وبعد إتمامه حفظه عكف على تعلم الفقه الإسلامي والتوحيد والنحو والتصوف، أمّا عن نسبه فينحدر من أسرة معروفة أنّها كانت من أوائل الأسر التي اعتنقت الإسلام، يرجع أصله إلى قبيلة "دينانكوبي" المشهورة بلقب "باه" وجده إبراهيم مباطي باه الذي عرف باهتمامه بالدراسات الإسلامية، حيث كرّس حياته لتعليم القرآن ومبادئه (تيام، د، ت، صفحة 6، 7).

4- الشيخ إبراهيم أنياس وخدمته للطريقة التيجانية في السنغال:

سعى الشيخ إبراهيم أنياس سعيًا حثيثًا في إرساء دعائم الطريقة التيجانية، ونشر أفكارها بين المسلمين في هذه القارة، حيث يُعتبر الشيخ أكبر قطب للتجانيين، وأكثر المشايخ إتباعا في غرب إفريقيا، وكانت البداية الأولى لتواصل الشيخ مع التيجانية خلال نشأته في حجر والده، وشيخه العالم العلامة وقُدوة الشيخ الإمام الحاج عبد الله بن السيد محمد (الثاني، 2010، صفحة 04)، فقال الشاعر موناك التندغي فيه:

قطب التيجانية الشهير وتاجها * * * * * وإمامها وجدوده تيجانها.

ذو الرتبة العليا التي تحط عن *** ها العارفون ولو سما بنيانها

كلتاها لولاه أقفر رسمها *** بين الورى وتكدكت أركانها (سيسن، 1993، صفحة

(04)

أخذ الشيخ إبراهيم نياس التيجانية عن والده الذي كان يقوم بالتدريس، بالإضافة إلى كونه أحد علماء الصوفية الكبار في بلده، فصار بيت الشيخ إبراهيم نياس محطة لرجال موريتانيا²، الذين كانوا يقومون بنشاطهم الدائم في نشر الطريقة التيجانية، وبث تعاليمها بجانب العلوم الصوفية الأخرى، فوجد الشيخ إبراهيم نياس نفسه بين هذا الوسط الصوفي الذي كان له الأثر الكبير في تكوين ثقافته العلمية والعقيدية.

وقد أجازته علماء الصوفية من الموريتانيين وغيرهم بعد وفاة أبيه، منهم محمد محمود الشنقيطي الذي أجازته إجازة مطلقة ومنحه شمول في أوراد الطريقة التيجانية، وذلك بوصية من والده، ثم قدّمه له شيخه عبد الله بن الحاج العلوي الموريتاني إجازة مطلقة أخرى، حولته من مجرد كونه مقمدا لتلقين أوراد الطريقة التيجانية إلى شيخ مرشد كامل الإذن، ممّا جعله يعتبر نفسه طوال عصره أنه خليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره، ثم ادعى رؤية الشيخ التجاني مؤسس الطريقة التيجانية مرارا في المنام (الثاني، 2010، صفحة 04).

وكان لتتابع إجازات مشايخ الصوفية بسلاسلهم الصوفية وأسرار الطريقة التيجانية للشيخ إبراهيم نياس، سبباً مهماً في ازدياد ظهوره يوماً بعد يوم، وانتشار ذكره في الأفاق، وقصده المتصوفة من أقطار الأرض لإتباع هذه الطريقة التي كانت ترى أن الجهاد واجب لنشر الإسلام عكس ما عرف عند القادرية، من تسامح الأمر الذي لم يثمر جهده لنشر الإسلام في بعض مناطق الصحراء، لذلك اعتمدت التيجانية على القوة والسلاح في تعاملها مع الكفار والوثنيين، وإعلان راية الجهاد عن طريق القوة لنشر مبادئ الطريقة بين الناس (بازينة، 2010، صفحة 206).

5- مدارس وزوايا الشيخ إبراهيم نياس في السنغال:

1.5- مدرسة دكار:

تعتبر مدرسة دكار أولى المدارس العربية الإسلامية التي افتتحها الشيخ إبراهيم في السنغال، وذلك في 10 أكتوبر 1961، بشارع رقتيل اسكافي، وعين على رأسها "بابالي حيدر" كمديراً عليها، يلتحق بها الطلاب بعد تخرجهم من مدرسة دار المعلمين.

2.5- معهد كولخ:

عمل الشيخ إبراهيم أنياس على تغيير التعليم العربي الإسلامي في مدرسة والده بكولخ التي تبعد بحوالي 180 كم عن مدينة دكار، بنمط يتمشى مع متطلبات العصر، حيث بنى مدرسة سماها معهد عبد الله نياس العربي الفرنسي، واختار ابنه محمد النذير الذي كان طالباً بالجامع الأزهر كمدير عليها عام 1970، وبعد حصوله على التصريح من وزارة التربية عام 1975 بدأ هذا المعهد في مزاولة نشاطه في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، وتطور به الوضع حتى صار أساتذته ومعلميه من خارج السنغال، حيث قدم أساتذة من موريتانيا ومصر، وقسم التعليم فيه إلى ثلاثة مراحل، الابتدائي، الإعدادي، الثانوي، والالتحاق به كان مفتوحاً لجميع الطلبة من مختلف دول العالم، فكان بذلك معهداً إسلامياً بامتياز.

3.5- مدرسة باب السلام الإسلامية بـ دكار :

أسس إبراهيم نياس مدرسة باب السلام في بـ دكار سنة 1381هـ / 1962م، وهي من أوائل المدارس الإسلامية التي فتحها الشيخ بعد سنة من افتتاحه لمدرسة دكار، وكانت في البداية تظم طلبة من أهالي بـ دكار وما حولها من القرى السنغالية (سار، 2015، صفحة 218).

6- أزمت الشيخ إبراهيم أنياس مع عائلته وأعلام عصره:

بالرغم من الدور الكبير الذي أدّاه الشيخ إبراهيم نياس في نشر الإسلام والعلم في السنغال، ومقاومته للاستعمار وأهدافه، إلا أنه لم يسلم من أعدائه سواء من داخل العائلة من طرف إخوته، والسبب هو خلافة أخيه الحاج محمد نياس الذي رفض اطلاعه على الكتب المحبوسة التي تركها والدهم، إضافة إلى نشوب نار الغيرة بينه وبين أخيه عمر نياس بحجة الشعبية المتزايدة للشيخ عن إخوته. ولعل الأبيات التالية التي نظمها في حقهم تُعبّر عن مدى حزنه بسبب خلافة معهم:

لائمي فارت لحالي*** قد دهاني ما دهاني

كم خليل قد جفاني*** لغرامي ورماني

رب صنو كنت أرجو*** وصله ثم جفاني

ونهانى ولحاننى *** وشجاني ونفاني (ميغري، 1979، صفحة 235)

ومن خارج العائلة نجد الشيخ أحمد دم الفلاني الذي جاهر الشيخ بالعداوة في كتاب سمّاه "تنبيه الغافلين"، أما خارج السنغال فلا نجد للشيخ أزمة تذكر باستثناء الحاج أبو بكر الجومي الذي اتهم الشيخ بأن فكره التكفيري دخل إلى النيجر وانتشر بين أهلها (ميغري، 1979، صفحة 237).

خاتمة:

أعتبر الشيخ إبراهيم نياس في بلاد السنغال خلال القرن العشرين من أبرز رجال الدين ومصلحيها على الإطلاق، وهذا لما تركه من آثار دينية وإصلاحية في نفوس المجتمع عامة، وأعتبر الشيخ إبراهيم نياس أحد أقطاب التيجانية البارزين والفاعلين في البلاد، فكان الخليفة الثاني لها في المنطقة، والدليل على ذلك هو عدد مردي الطريقة اليوم الذين لهم الولاء التام لشيخ الطريقة في عين ماضي بالأغواط، وشيخهم إبراهيم أنياس في السنغال الذي ترك رصيда علميا تزخر به الخزائن والمكتبات السنغالية اليوم، تعتبر التيجانية أن الشيخ إبراهيم من أبرز خدامها الذين ناضلوا في سبيل نشر مبادئها وتعاليمها في غرب القارة الإفريقية.

واستطاع الشيخ إبراهيم تكوين نخبة متشعبة بالفكر الإسلامي وبمبادئ الطريقة الصوفية التيجانية في ظل الاحتلال الفرنسي ومخططاته الرامية إلى القضاء على الإسلام، تمكنت من مقاومته فكريا وعقائديا، وجعلت من المجتمع السنغالي الغالبية منه يبقى على إسلامه في فترة ما بعد الاستعمار وحتى إلى اليوم.

كما جعل الشيخ إبراهيم نياس الكولخي بلاد السنغال قبلة لمردي الطريقة التيجانية من مختلف مناطق غرب إفريقيا، يأتونها للتزود بمعارف الدين الإسلامي وأوراد الطريقة، وتمكنت مدارسها التي بناها من تخريج آلاف الطلبة ورجال العلم ساهموا في تنوير المجتمع ومحاربة البدع والخرافات، وما قد يشوب الإسلام من شوائب.

الإحالات:

¹ تعني كلمة تكرور أو تكارنة، أو دكارنة سكان دولة التكرور القديمة في غرب إفريقيا التي أنشأت في القرن التاسع عشر الميلادي، أما لفظ التكارنة في السودان فهي مفرد التكروري، أو تكروني، وهو لفظ يطلق على كل القبائل المهاجرة من المنطقة الواقعة بين موريتانيا وجنوب بلاد الفوتجالون وهو إقليم واسع جدا، يمتد شرقا حتى بلاد الماسينا، أنظر: البرتلي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حاجي، ط1، دار المغرب الإسلامي، 1981، ص26.

² يعتبر الشناقطة أول من حملوا تعاليم التيجانية إلى غرب إفريقيا، حيث انظم الشيخ محمد الحافظ الشنقيطي المتوفى سنة 1830م إلى التيجانية على يد مؤسسها مباشرة الذي عينه مقدما، واستخلفه على موريتانيا وما جاورها، فقام الشيخ الشنقيطي بنشر الطريقة بين قبائل الشنقيط، وبفضله وصل مداها إلى السنغال، ولم تشع التيجانية كل الإشعاع بغربي إفريقيا إلا حينما تقلد زعامتها الحاج عمر الفتوي 1795-1864، الذي عمل على نشر مبادئها في كامل أرجاء السنغال وخارجها، أنظر: عبد القادر محمد سيلا: المرجع السابق، ص 136.

المصادر و المراجع:

- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق. (1989). المسلمون والاستعمار الأوروبي في إفريقيا . الكويت : عالم المعرفة
- أنياس محمد الهادي إبراهيم. (1959). إفريقيا للإفريقيين. دكار : المكتبة السنغالية .
- اينافي عبد الهادي بن الشيخ التهامي. (د، ت). الشيخ إبراهيم أنياس وآثاره في الدعوة إلى الله بغرب إفريقيا . ماليزيا : كلية أصول الدين .
- بازينة عبد الله سالم. (2010). انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء (الإصدار ط1). د، د، ن.
- باري عثمان بريما. (2000). جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا (الإصدار ط1). القاهرة: دار الأمين.
- تيام أب دير. (د، ت). الإمام ماباجاخويا وملحمته الجهادية في المنطقة السنغابية لنشر الإسلام زمحترية الظلم في القرن التاسع عشر (الإصدار ط1). (إمام حسن سك، المترجمون) دكار : دكار .
- التيجاني الهادي أحمد. (2009). تحرير الأقوال في تاريخ السنغال من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين. دكار، السنغال: دار المقدم.
- الثاني محمد عمر موسى. (2010). أراء الشيخ إبراهيم أنياس في الميزان. قراءات إفريقية ، 4.
- جاه عثمان. (2017). التيجانية في الأدب السنغالي العربي . باريس : الأرمتان.
- الحاج عبد الله إبراهيم ابن الشيخ. (2001). كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس. دكار: دار الشيخ التيجاني علي سيس.
- سار عبد الكريم. (2015). التاريخ السياسي للإسلام بالسنغال (الإصدار ط1). د، د، ن.
- سيلا عبد القادر محمد. (1406هـ). المسلمون في السنغال: معالم الحاضر زآفاق المستقبل (الإصدار ط1). قطر: كتاب الأمة.
- سيسن علي بن الحسن. (1993). مجموع رحلات الشيخ إبراهيم أنياس . د. د. ن. د. ن.
- شقرون محمد. (2007). الإسلام الأسود (الإصدار ط1). بيروت: الطليعة.
- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم. (1995). دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر . مصر : مكتبة الإسكندرية .
- الصغير عيسى حسن. (2004). الشيخ إبراهيم نياس ومنهجه في التصوف والدعوة إلى الله. ليبيا: كلية الدعوة الإسلامية.
- أبو الفتح صالح أبو حمد. (د، ت). الرحلة الحجازية الأولى للشيخ إبراهيم أنياس الكولخي . د، ب، د، د، ن.
- القشاط محمد سعيد. (1997). أعلام من الصحراء. القاهرة: دار الملتقى للطباعة والنشر.
- عبد اللطيف عبد الرحمن. (2009). الدواوين الست للشيخ الكولخي. الخرطوم: جامعة أم درمان.

- مباكي جبلي سيرين. (2009). أبرز رجال العلم والدعوة في السنغال وأثرهم الإصلاحي . جامعة القرويين، المغرب: كلية أصول الدين.
- ميغري محمد الطاهر. (1979). الشيخ إبراهيم أنياس السنغالي حياته وأراؤه وتعاليمه . بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .
- النحوي بن محمد المختار الهادي. (2021). الشيخ إبراهيم أنياس الكولخي رضي الله عنه . د، ب: د، د ن.